ان محتوى هذه الرواية خال من الحركة . يجري اللقاء الأول بين بطلي الرواية — دانتي وبياتريشيا — وهما في التاسعة من العمر ، وفي هذا اللقاء ارتعشت « روح الحياة » في أعماق نفس دانتي وتملك الحب قلبه منذ ذلك الوقت وحتى آخر العمر . وبعد تسع سنوات يلتقي دانتي بياتريشيا فتحييه بايماءة خفيفة من رأسها فتملأه تلك الحركة متعة لامثيل لها ، وها هو بعد ذلك يسرع إلى غرفته فيكتب نشيده الأول ، بعد ذلك يلتقي بياتريشيا في الكنيسة ، وخوفا من افتضاح حبه ، يتظاهر بأنه يهتم بالسيدات الأخريات . ويخبر الأشرار بياتريشيا بهذا الامر فتمتنع عن تحيته فيستولي عليه الحزن ويكاد يقتله الألم . ثم تسنح له فرصة الالتقاء ببياتريشيا بين مجموعة من السيدات اللواتي اجتمعن في أحد الأعراس ، وهنا يعاني دانتي اضطرابا شديدا ويرتبك إلى حد يجعل بياتريشيا تسخر منه فيتضاعف ألمه ويبكي طويلا . ثم يقرر ألا يسعى إلى لقائها أبدا لأنه لن يستطيع ضبط نفسه في حضرتها . ومنذ ذلك الحين وقف نفسه على تمجيد بياتريشيا وأصبح انشاء القصائد في حبها مصدر متعته . وهكذا يبدأ الجزء الثاني من الرواية .

ان الصور التي يرسمها الشاعر لبياتريشيا ووصفه لمناقبها وتحليله الصادق للتدله في حبها ، كل ذلك يضفي على القوالب الأدبية المعروفة سطوعا والهاما . في الجزء الثاني من « الحياة الجديدة » يموت ابو بياتريشيا فيحزن الشاعر لموته حزنا عميقاً ، فيقعده المرض وتتراءى له صور الموت وتحاصره افكاره ، وتتكاثر امام ناظريه الأشباح تسد عليه كل منفذ . انه يرى الشمس تغرب والنجوم تشحب وتذرف الدمع والطيور تسقط من تحليقها والأرض تهتز وصوت مجهول يصيح به : « ألا تعرف ؟ ان حبيبتك تموت » وسرعان مايأتيه نبأ موتها . لقد أصبح العالم خاويا بالنسبة اليه ، وينقلب موت بياتريشيا في أحاسيس دانتي إلى كارثة اجتماعية فينعاها إلى كبار المواطنين في فلورنسا . وفي خلال السنتين التاليتين يبحث الشاعر عن السلوان بممارسة العمل الفكري الجدي . ويسلو قليلا . وتسكب نظرات سيدة أشفقت على الفتى المحزون الحب في قلبه فيجعلها موضوع أحلامه وينسى بياتريشيا . لكنه يثوب إلى رشده فيعود إلى حبه الحقيقي الوحيد . وينهي كتابه بعهد مهيب يقطعه على نفسه بأن يخلد بياتريشيا في عمل شعري لم تلهمه أية امرأة لشاعر من قبله .

بعض خصائص « الحياة الجديدة » :

هذه هي الرواية النفسية الأولى في أوروبا . لقد تضمنت صورة لمشاعر الحب لامثيل لها في السمو والروحانية . وكانت أول تجسيد لذلك الشعور البسيط المعقد إلى اقصى الحدود